جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠ - ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١ - ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization
of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٢)، ع١، ص ص٣٥-٦٩، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 2, (1), pp 35-69, King Saud University, Riyadh (1446H / 2024)

الرحلات الجزائرية الحجية خلال القرن١١هـ/ ١٧م وأثرها على التواصل العلمي بين الجزائر والحجاز
(رحلتا أحمد المقّري وعبد الرّحمن المجّاجي أنموذجًا)

د. فطيمة مطهّري
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان

(قُدِّم للنشر في ٠٦/ ٠٢/ ١٤٤٦هـ، وقُبِل للنشر في ٣٠/ ٠٣/ ١٤٤٦هـ)

الملخص:

إنّ مقصد الجزائريّين وتوجّههم إلى الحجاز كان نتيجة ارتباط روحي نحو الحرمين الشريفين، وزيارة البقاع المقدسّة، إذ إن الحجاز في نظرهم ليس مجرّد مكان للزيارة وقضاء فريضة الحج أو للتواصل العلمي فقط، ولكنّه كان -وما زال- أرضًا مقدسة لها مكانتها الخاصة في نفوسهم، فهي تضمّ تاريخ الوحي الإلهي، والدعوة المحمّدية الشريفة؛ لهذا وجدناهم يسجّلون عواطفهم لرؤية الحجاز وأهله، ونظم الشعر لوصف الأحاسيس الدّينية والرّوحية بمجرّد العزم على الحجّ، ونلاحظ ذلك لدى كثير ممن دوّن وقائع رحلته ووصفها، وكان من بينهم رحلتا أحمد المقّري في كتاب "رحلة المقّري إلى المغرب والمشرق"، ورحلة عبد الرحمن المجّاجي المسمّاة "رحلة المجّاجي في القرن ١١هـ/ ١٧م".

لقد ذكر المقّري في رحلته أنه دخل مكة المكرّمة للحجّ خمس مرّات، وزار المدينة المنوّرة سبع مرّات، وغيرها من أخبار وقصائد مدح بها شريف مكّة إدريس بن الحسن وابن أخيه محسن بن الحسين، ورسائل كان يتبادلها مع مفتي مكّة وخطيبها عبد الرحّمن بن مرشد وغيرها من الأخبار. كما دوّن المجّاجي في رحلته إلى الحجّ المشاهدات في نظم شعري طويل، واصفًا القرى والآبار والمسالك والمحطّات والمواقيت والمزارات وصفًا دقيقًا.

ينقسم البحث إلى مقدمة وخاتمة وثلاثة محاور، يتناول المحور الأول تحديد أنواع واتجاهات رحلات الجزائريين الحجية والعلمية إلى الحجاز خلال (القرن ١١هـ/ ١٧م)، أما المحور الثاني فيتناول التعريف بالرحّالتين (المقريّ، والمجاجيّ) ورحلتيهما الحجية، ومعالم ومظاهر التواصل العلمي بين الحجاز والجزائر خلال هذه الفترة، ثم يتحدث المحور الثالث عن نماذج من علماء الجزائر الذّين رحلوا إلى الحجاز خلال الفترة الزمنية للبحث.

الكلمات المفتاحية: الرحلة الحجّية، الرحلة العلمية، الحجاز، التواصل العلمي، عبدالرحمن المجّاجي، أحمد المقّري.

Algerian Pilgrimage Journeys During the 11th century AH / 17th and their Impact on Scientific Communication century AD between Algeria and the Hijaz

(The Journeys of Ahmed Al-Muqri and Abdel-Rahman Al-Majaji are An Example)

Dr. Fatima Metahri

Faculty of Human and Social Sciences, Univesity Of Tlemcen

fatima.metahri13@gmail.com

(Received: 6/ 2/ 1446 H; Accepted for publication: 30/ 3/ 1446 H)

Abstract:

The main objectif of algerians for going to El hidjaz was a spritual desire to the two holy mosques and visiting the holy land ,home of prophet Muhammed peace be upon him and his Sahaba may Allah be pleased with them.

According to their opinion El hidjaz is not only an ordinary destination for tourism or learning ,but i twas and still a pure and sacred land which includes the history of Divine revelation, the honorable Muhammadiyah call and the Islamic Nation,for this reason they had a strong emotins to visit El hidjaz and asking for its blessings,they also wrote a poetry to describe their spritual and religion emotions once they intended to pilgrimage.

There are others who described their trips to the holy land ,among them Ahmed El Boumi in «Errawda Elhania Fi Rihla El Hidjazia», and Ibn Ammar trip which is called «Nahlet Ellabib Fi Akhbar Errihla Ila Elhabib »,but what we are interested in, is Ahmed El Makarri's trip in his book «El Makarri trip to Orient and Occident» as well as Abd Errahman El Madjaji trip whic is called «El Mdjaji trip in the 11th century H /17th century AD».

El Makarri mentioned in his trip that he entered Makkah El Mukarramah five times and visited El Madina El Monawarah seven times,he mentionsed also other informations and poems praising Sheriff of Makkah Idriss Ibn El Hassan and his nephew Muhammed Ibn El Hussain,in addition to others letters exchanged with the Mufti and orator of Makkah Abd Errahman Ben Morchid,wheras El Madjaji wrote a long poem describing accuratly villages,wells,pathways,stations and thrines.

Keywords: The Pilgrimage Trip, The Scientific Journey, The Hijaz, Scientific Communication, Abdul Rahman Al Majaji, Ahmed Al-Makari.

المقدمة:

تعدّ الرحلات من أقدم الفنون الأدبية وأجلّها نفعًا، باعتبارها من أهمّ المصادر التي يعتمد عليها في دراسة التاريخ الإنساني، فهي من أهم العوامل المساعدة على التعلّم، تمكّن الطالب من اكتساب مناهج علمية جديدة، وطرق وأساليب متطوّرة في التعليم والتأليف، وكانت ولا زالت بمثابة مصادر شاملة تسجل فيها جوانب متعددة لمجالات حضارية على امتداد فترات متتالية، فالرحلة تتطلّب اتّساع المعارف وتنوّعها، وثمارها يتعذّر حصرها لاسيّما إذا كان الرحّالة متمتّعا بقوّة الملاحظة، والتطلّع ويقظة الحواس، والرّغبة في التّحصيل والحرص على التدوين والتسجيل، وكان للجزائر رصيد هامّ من تلك الرحلات وبخاصّة في الفترة العثمانية، بحيث أصبح فيها الجزائريون أكثر ميلا للتنقّل والترحال مشرقا ومغربا، ولتدوين تحركاتهم نثرا أو شعرا، سواء كانت رحلات علمية أو حجيّة، ومنها: رحلة ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري المسمّاة" لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" ورحلة الحسين بن محمد الورتلاني " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" والمعروفة باسمه"الرحلة الورتلانية"، والرحلة المنظومة بالشعر الملحون لمحمد بن مسايب المسمّاة ب:" الرحلة إلى مكّة".

ومن الصنف الأخير وبالشعر الفصيح نظّم عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجّاجي رحلته الحجازية المسمّاة باسمه" رحلة المجّاجي" أو "الرحلة إلى مكّة"، أما أبو العباس أحمد المقّري فقام برحلة علمية –حجّية ونثرية –نظمية أبرزت تقدّم فنّ الكتابة والمراسلة في هذه الفترة عرفت باسمه:" رحلة المقّري إلى المشرق والمغرب".

فما هي أطوار ومراحل ومسار رحلتي المجّاجي والمقّري إلى الحجاز؟ وما أهميتهما التاريخية والجغرافية؟ وهل كان لهما تأثير على التواصل الفكري والعلمي بين الجزائر والحجاز؟

ومن دواعي اختيارنا لهذا الموضوع أنّ كلا الرحلتين حديثة الدراسة والتحقيق؛ فرحلة المقري إلى المغرب والمشرق؛ حققها محمد بن معمر سنة ٢٠٠٤م وبنسخة خطية واحدة فقط،

وهذا ما جعله يبدأ تقديمه في التحقيق بقول لأبي القاسم سعد الله جاء فيه: "إنّ شح بعض الناس بما عندهم من مخطوطات قد يؤخّر نشر مخطوط ما ولكنّه لا يستطيع أن يمنعه من الظّهور إلى الأبد". وهذا ينطبق أيضا على رحلة المجاجي؛ فقد تمّ دراستها وتحقيقه في إطار مشروع ماجستير من طرف سعاد آل الشيخ عام ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، وبنسخة مبتورة وهذا من خلال قولها:" أن المخطوط يقع في حوالى ١١ورقة ولكن الجزء الأول مبتور، وبالتالي احتمال احتواء هذا الجزء على بداية الرحلة" رحلة الذهاب".

ولكن هذا لا يعني عدم وجود دراسات مستقلة وجزئية حول الرحلتين؛ فقد استفدت من دراسات سابقة أذكر منها: الرحلة العلمية للإمام أبو عبد الله المقري التلمساني لفافة بكوش، والرحلات الجزائرية إلى بلاد الحرمين من خلال رحلتي البجائي والورثلاني لصحراوي عبد القادر، وماجستير : فنّ الإجازة في رحلة المقري التلمساني لفضيلة عماري، وأخرى موسومة بـ: استراتيجية الخطاب في رحلة المقري إلى المشرق والمغرب لهواري جميلة.

وسنتبع في هذا البحث الخطة الآتية ضمن ثلاثة محاور:

أولًا: تحديد أنواع واتجاهات رحلات الجزائريين الحجية والعلمية إلى الحجاز خلال (القرن١١هـ/ ١٧م).

ثانيًا: التعريف بالرحالتين ورحلتيهما الحجية، والحديث عن معالم ومظاهر التواصل العلمي بين الحجاز والجزائر خلال القرن ١١هـ/ ١٧م، من خلال رحلة المقّري خاصة إذا علمنا أنّ المقّري قد ألّف معظم كتبه الدينية في الحجاز، ومنها ما هو في السنّة النّبوية مثل "فتح المتعال في مدح النّعال" وهو في بحث في النّعال النّبوية ألّفه في المدينة المنوّرة وكتاب "أزهار العمامة...". وكذلك رحلة المجّاجي والتي تدخل في إطار التّفاعل والتلاقح بين المشرق والمغرب، خاصة وأن المجّاجي حبس مجموعة من القصائد كان قد نسخها بنفسه بالمسجد النّبوي كقصيدة "الكواكب الدريّة في مدح خير البريّة" المعروفة بالبردة للبوصيري، وكتب في السنة النّبوية ككتاب "الشّمائل المحمّدية" للترمذي، ونسخ أيضا المصحف الكريم وتركه حبوسا بالمسجد النّبوي.

ثالثًا: الحديث عن نماذج من علماء الجزائر الذّين رحلوا إلى الحجاز خلال الفترة الزمنية للبحث، وتحديدًا من كان لهم إنتاج فكري وعلمي سجّلوا ودوّنوا فيه أخبار وملاحظات حول الرّحلة من بدايتها إلى نهايتها، كأوصاف طرق ودروب الحجّ ومعلومات تبرز مظاهر التّأثير والتأثّر بين الحجاز والجزائر، مما يضيف فائدة في دراسة الرحلتين محل البحث، ومنهم عيسى الثعالبي الذي أدّى فريضة الحجّ عام١٠٦١هـ وأخذ العلم عن شيوخ الحرم، ودرس في مكّة علوم الحديث، ويحيى الشاوي الذي قصد الحجّ عام ١٠٧٤هـ، ثم عين أمير ركب الحجّاج المغاربة وقد حضره أجله وهو برفقة إحدى قوافل الحجيج البحرية سنة ١٠٩٦هـ.

أوّلًا: أنواع واتجاهات رحلات الجزائريين خلال القرن ١١هـ/ ١٧م:

فنّ الرحلة قديم في الأدب العربي عبّر من خلاله وفي قالبه الأديب العربي وهو يجوب الآفاق مكتشفا أو متعلّما، وتوسل إلى التعبير عن ذلك تارة بالشعر وأخرى بالنثر(افرخاس وصلاح محمد صديق، د.ت، ص١٤)؛ إلا أنّ الرحالة الجزائريين بالقياس مع كتّاب الرحلات المغاربة كانوا قليلي الإنتاج، وذلك سببه أنّ عددا من العلماء الذين توزّعوا في العالم الإسلامي لم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم إلى مواطنهم، وكما ذكر أبو القاسم سعد الله أنّ بعض الرحلات لانعرف إلاّ أسماءها وبعضها لم يصل إلينا إلاّ القليل منها، غير أنّ بعضها وصل إلينا كاملا (سعد الله، ١٩٩٨م، ص٣٨٢). والرحلات خلال هذه الفترة تنقسم إلى نوعين هما:

١-الرحلات العلمية:

عرف العرب الرحلة قبل مجيء الإسلام حيث كانت حياتهم قائمة على الترحال، وقد أشار القرآن الكريم إلى رحلتي قريش التجارتين في الشتاء والصيف إلى الشام واليمن (الشواكبة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٣٥)، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)﴾(سورة قريش، الآيتان، ١و٢)، إلا أن الترحال من مكان إلى آخر لم يكن لأهداف مادية فحسب، وإنما لتحقيق أهداف معنوية أيضا (الصعيدي، ١٩٩٦م، ص١٥)،

منها الرحلة في طلب العلم التي كثيرا ما كانت تتبع رحلة الحج، فالحج من أقوى البواعث التي حركت الرحالة المغاربة إلى طلب العلم من منابعه الأصلية مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، ومن المراكز الإسلامية الأخرى كبغداد ودمشق ومصر وغيرها.

وفي المغرب الإسلامي كانت الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة من المسائل المحمودة (نواب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٤٦)؛ وهذا ما قصده ابن خلدون بقوله: "الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة...أقوى رسوخًا" (ابن خلدون، ٢٠٠٧م، ص٥٩١).

فالمقصود بالرحلات العلمية هي تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة فيها أحيانا، ومن أقدم من فعل ذلك عاشور بن موسى القسنطيني المعروف بالفكيرين(بضمّ الفاء وفتح الكاف وهو لقب والده)، والذي قام برحلتين الأولى كانت بعد وفاة والده عام ١٠٥٤هـ حين شدّ الرّحال لطلب العلم في عدّة بلدان، وكانت هذه الرحلة طويلة نحو العشرين سنة مكّنته من الاطلاع والملاحظة وحذق لهجات ومعرفة قبائل وشعوب وبلدان، ومن هذه البلدان: تلمسان التي لقي فيها سنة ١٠٥٥هـ محمد بن سليمان مؤلّف كتاب" كعبة الطائفين"، ثمّ زار المغرب الأقصى، وبعدها أرض السودان، وعندما رجع إلى بلاده قسنطينة أخبر بغرائب ما شاهده وعجائب ما رآه وما أخذه عن هؤلاء العلماء من فن القراءات والأدب (سعد الله، ١٩٩٥م، ص٣٩٧)، أما رحلته الثانية فاختار فيها في البداية تونس أين انتصب للتدريس بجامع الزيتونة، وكان كثير الحكايات واستحضار قطع الشّعر، فقد حكى ووصف لطلابه ما سمعه ورآه عن أهل البلاد التي زارها لباسا وحكما وقوتا، ومن تونس توجه بأهله إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ فأدركته الوفاة بعد سنة١٠٧٤هـ (سعد الله، ١٩٩٥م، ص٣٩٧)، لكن للأسف فبالرغم من قدرته على الدرس والتأليف فممّا روي عنه ووصف به: "أنّه كان حسن الحديث والمجالسة والخلق، ذلق اللّسان، لا يتكلّم إلاّ إذا أتى بشاهد من القرآن والحديث والشّعر، واشتهر خاصّة بعلم النحو والصّرف...وكان عالما

بالفلك" (سعد الله، ١٩٩٥م، ص٣٩٨)، لم نعثر على رحلته مكتوبة حتى الآن وتبقى مسموعة فقط حسب ما قصه على طلبته وغيرهم.

وكان ممن رحلوا لهذا الغرض خلال القرن ١١هت/ ١٧م نذكر: عيسى الثعاليبي الذي قصد الحج عام ١٠٦١هـ فأدّى الفريضة وجاور بمكّة سنتي ١٠٦٢-١٠٦٣هـ، وأخذ العلم من شيوخ الحرم ثمّ قصد مصر ومكث بها سنتي ١٠٦٤-١٠٦٥هـ...، ويحيى الشاوي الذي اتخذ الحج طريقا للرحلة فبعد أدائه فريضة الحج عاد إلى مصر سنة١٠٧٤هـ، وأخذ العلم عن البابلي والمزاحي والشرابيلي وأجازوه...، وأحمد المقّري موضوع هذه الدراسة والذي سيأتي الحديث عنه في العنصر الموالي وغيرهم كثير.

٢- الرحلات الحجازية:

إنّ الظّاهر أنّ الرحلات الحجازية- الحجيّة هي أكثر وفرة نسبيا (سعد الله، أبريل١٩٧٧م) وهذا يرجع لسببين:

فالسّبب الأوّل: ارتبط بمكانة وقدسية الحجاز في نفوس المسلمين عامّة والجزائريين خاصّة، فالحجاز يتميز بطابعه القدسي لكونه منبع الدين الإسلامي ومسرحا لأهم الأحداث التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاصروه، ومن جاء من بعدهم من التابعين.

والحجاز يضم مكّة المكرّمة مهبط الوحي ومنبع الرسالة المحمدية والمدينة هجرة ومستقر وعاصمة الدولة المحمدية، وبذلك اكتسبت المدينتان صبغة مميزة على مستوى المعرفة بمصطلح ذلك العصر، بفضل ما وجد بهما من علماء ورثوا العلم عن النبي والصحابة والتابعين واجتهدوا فيه، فضلا عن أن توجههم إلى الحجاز كان نتيجة توق روحي نحو الحرمين الشريفين وزيارة البقاع المقدّسة التي وطأتها أقدام الرسول صلّى الله عليه وسلّم وصحابته الأكرمين.

أما السّبب الثاني: تعلّق بالاهتمام المغربي الذي كان منصبا على كل ما يفد من المشرق العربي، وكان الاعتقاد السّائد هو أنّ الشّخصية العلمية المغربية لا تكتمل إلاّ بالأخذ عن

المشارقة والتعلّم على أيديهم، وهذا هو سرّ كثرة الرحلات المغربية نحو المشرق، وقلّة الرحلات المشرقية نحو المغرب (أفرخاس وصلاح محمد صديق، د.ت، ص١٤).

وتنقسم الرحلات الحجازية إلى قسمين: نثرية وشعرية، ففي الأولى يسجل أصحابها انطباعاتهم عمّا شاهدوه وسمعوه ليس فقط في الحجاز، ولكن في مختلف المدن والأقطار التي مرّوا بها من الجزائر مرورا بتونس وطرابلس ومصر والشام والجزيرة العربية (سعد الله، ١٩٩٨م، ص ص٤٠١-٤٠٤)؛ إلاّ أنّ هذا النوع من الرحلات لم يكن خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، بل كان معظمها من إنتاج القرن الثاني عشر الهجري(١٨م)، فمثلا عبد الكريم الفكون والذي ظلّ يقود ركب الحجّ من قسنطينة إلى الحرمين طول حياته، ورغم أنّه كتب في تخصّصات عدّة من صرف ونحو وتراجم وشعر ديني لكنّه لم يدوّن رحلته، فأوّل رحلة حجازية هي: رحلة أحمد البوني والمسمّاة" الروضة الشهية في الرحلة الحجازية" كانت في القرن الثاني عشر الهجري، ومثلها يقال عن رحلة حسين الورثلاني، ورحلة أبي راس الناصري، ورحلة ابن حمادوش، ورحلة ابن عمّار المسمّاة" نحلة اللّبيب في أخبار الرّحلة إلى الحبيب" والذي حجّ لأوّل مرّة سنة ١١٦٦هـ وجاور بالحرمين الشريفين حوالي اثني عشر سنة، فوصف أشواقه إلى الحرمين الشريفين وإلى الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام(سعد الله، ١٩٩٨م، ص ص ٤٠٤-٤٠٦).

أمّا الرحلات الشعرية فكانت لتعبر وتصف العواطف المتأجّجة لرؤية الحجاز وأهله والأحاسيس الدينية والرّوحية، فكانت الموشّحات والقصائد تسبق الزيّارة في العهد العثماني، وكان بعضها مكتوب بشعر فصيح وبعضها بشعر ملحون كرحلة بن مسايب التلمساني المسمّاة ب" الرحلة إلى مكّة" (آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص٢٠١) من تلمسان إلى مكّة المكرّمة، وتبدأ الرحلة بهذا البيت الشعري:

يا الورشان أقصد طيبة وسلم على الساكن فيها

وكان لابن مسايب رفيقان هما: ابن التريكي والزناقي، فكلاهما رحل مثله من تلمسان إلى مكّة المكرّمة وكتبا مثله رحلتهما شعرا ملحونا. وبالشعر الفصيح نظم محمد بن

محمد العامري التلمساني رحلته الحجازية وهي قصيدة همزية وصف فيها مراحل رحلته من تازة أين كان يقيم إلى الحرمين الشريفين ثمّ منها إلى الشام، وبدأها بالبيت التالي:

أزمع السير أن دهت أدواء لشفيع الأنام فهو الدواء

(سعد الله، ١٩٩٨م، ص ٤٠٢).

كما نظم عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي رحلته من مجاجة إلى مكّة المكرّمة في قصيدة فصيحة سنة ١٠٦٣هـ، وبدأها بالتالي: نشق الفيافي فدفدا بعد فدفد جبالا وأوعارا وأرضا وطية (آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص٢٠١). وهذا هو موضوع هذا البحث وسنتناوله بالتفصيل في العنصر الموالي.

ثانيًا: رحلتا المقّري والمجّاجي وأثرهما في التواصل العلمي بين الجزائر والحجاز:

١- رحلة المقّري:

١,١-ترجمته: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرّحمن بن أبي العيش بن محمد المقّري التلمساني(ابن عبد الكريم، ص١١٤)، ولد سنة ٩٨٦هـ/ ١٥٧٦م، وتوفي عام ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م. وهو من عائلة عريقة ذات تاريخ معروف وتعود أصولها إلى القبيلة العربية الشهيرة وهي قريش؛ وهذا ما أثبته بنفسه؛ وأشارت إليه مصادر عديدة منها: ابن خلدون وابن الحمر وابن الخطيب وابن مرزوق وغيرهم كثير..(المقّري، ٢٠٠٤م، ص٥). لقد أولج المقري سيرته ضمن الرحلة؛ في شكل أخبار وأقوال تضيء جوانب من حياته، كمتحدث أو راوي، كما كشف عن شخصيات كبيرة عرفها واتصل بها (هواري، ٢٠١٠-٢٠١١، ص١٠).

وهو من قرية مقّرة الواقعة في الزاب بين بريكة والمسيلة؛ واتي انتسبت إليها أسرة المقري، انتقل الجدّ الخامس للعائلة وهو عبد الرحمن المقّري في القرن السادس الهجري صحبة شيخه أبي مدين شعيب إلى مدينة تلمسان أين استقر وأنجب الذرية، ومارس التجارة؛ فنمت ثروتهم بسبب التجارة بين تلمسان وبين الصحراء والسودان الغربي، وقيامهم بتأمين الطرق والتجار؛ فاكتسبوا الجاه، وتأصلت فيهم جذور الثقافة والعلم. وكان

من أبرز أفراد الأسرة ثقافة وعلما، وأشهرهم صيتا ثلاثة وهم: أوّلهم هو أبو عبد الله محمد المقّري الكبير المتوفى عام٧٥٩هـ/ ١٣٥٩م، وهو شيخ لسان الدين بن الخطيب وابن خلدون، وثانيهم هو أبو عثمان سعيد المقري عمّ المؤلّف وشيخه ومربيه، وثالثهم هو أبو العباس أحمد المقّري مؤلّف كتاب " الرحلة" المسماة نسبة مؤلّف كتاب " الرحلة" المسماة نسبة إليه "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق"، والذي يبهمّنا في هذا البحث هو رحلته إلى المشرق قاصد بلاد الحرمين الشريفين.

-رحلته (إطارها- أهدافها وأثرها):

في شهر ذي القعدة من ١٠٢٨هـ توجه من القاهرة صوب مكة المكرمة؛ فأدّى مناسك العمرة وظلّ ينتظر موسم الحجّ، وبعد أداء هذه الفريضة توجه إلى المدينة المنوّرة لزيارة قبر الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وفي شهر محرم ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م عاد المقّري من الحرمين الشريفين إلى مصر.(المقّري، ٢٠٠٤م، ص٨). ومنذ ذلك التاريخ أخذ يكرر السفر من القاهرة إلى بلاد الحرمين وبيت المقدس ودمشق؛ حيث حجّ خمس مرات، واعتمر سبع مرات، وزار بيت المقدس ثلاث مرات، أمّا دمشق فقد زارها مرتين؛ وعندما عزم العودة إليها واستقرار بها في المرة الثالثة وافاه أجله، وبهذا يكون المقري قد قضى حوالي أربعة عشر عاما متنقلا بين مصر والشام والحجاز في التدريس والتأليف إلى غاية وفاته سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م.

لقد ترك لنا أحمد المقري ثروة هائلة من المؤلفات التي كتبها بتلمسان وفاس ومصر والحجاز والشام في فنون الأدب والتاريخ والفقه والعقائد، وهي تقارب الأربعين تأليفا (المقّري، ٢٠٠٤م، ص٨)، ومن مؤلفاته المطبوعة: كتاب "روضة الآس"، كتاب "أزهار الرياض"، وموسوعة "نفح الطيب"، وكتاب "فتح المتعال في وصف النعال"، ومنظومة "اضاءة الدجنة في عقائد أهل السنّة"، في حين بقية أغلب مؤلفاته في حكم المخطوط والمفقود ومنها كتاب "الرحلة" هذا الذي حققه محمد بن معمر والذي رأيناه نموذجا لإبراز أثر هذه الرحلة في التواصل بين الجزائر وبلاد المشرق وخاصة الحجاز، ومن مظاهر ذلك:

- أنّ الكتاب احتوى على مخاطبات ومكاتبات ومساجلات ومراسلات المؤلّف مع أعيان عصره وفحول الأدباء والشعراء والعلماء والفقهاء والقضاة والأمراء، ومن نماذج ذلك:

* مساجلات بين الأمير منجك بن محمد بن منجك الكبير الدمشقي؛ والذي ترجم له وقال عنه المحبي (د.ت، ص ص٤٠٩-٤٢٣):"وهبه الله الذكاء وقوة الحفيظة، كان فصيح اللهجة، وله ديوان شعر"، والمؤلف كتب لك:

فخـــرا دمشـق عـلى كـل البـلاد أولى البرية معروفا وعرفانا
شمس من المغرب قد كانت مشارقها بل دونها الشمس يوم الفخر برهانا
المقـري الـذي في بعض أيسـر مـا يحوي من الفضل كل راح حيرانا

(المقّري، ٢٠٠٤م، ص٤١).

* رسالة المؤلف إلى محمد بن أبي بكر(السلاوي، ١٩٥٤م، ص ص٧٦-٧٧) صاحب الزاوية الدلائية: "ولينا وسيدنا ومقيدنا ومثبتنا ومعتمدنا بعض الله في أمور الدين والدنيا الولي الناصح الصالح السني النسكي...فما عسى أن أمدح أو تغرد ورق الشكر على أفنان الثناء وتصدح...أجل أيها الأجلّ قد بنيتم أهرام المجد المتقادم وليس لما تبني يد الله هادم..."

* ويمدح ابن مرشد (المحبي، د.ت، ص ص٤٠٩-٤٢٣) مفتي الحرم المكي بقوله:

يا سائق الأضحى بزجي العيس أبلغ سلامي للرضى ابن عيسى
شيـخ الشيـوخ واحـد الـزمـان مفتـــي الأنـــام عـابد الـرحمن
بحـر العلـــوم جـامع الأنحـــاء من خص الافتاء في البطحـاء

(المقّري، ٢٠٠٤م، ص٤١).

* كما تضمن الكتاب مجموعة من القصائد والمقطوعات من نظم المؤلف وأدباء وعلماء عصره أكثرها كان في فن المدح، سواء كان المؤلف مادحا أو ممدوحا، والأشعار التي نظمها المقّري كان على رأسها فنّا الوصف والمدح وخصوصا المدائح النبوية، فكلما كانت تقع عيناه

على المشاهد الشريفة أو ختم درسا في الشمائل النبوية إلا وقام بنظم القصائد في المدح النبوي، ومما قاله في هذا المجال:

أحمد المختار في العلياء من خير آباء ومن أسمى الجدود
خير من جاء بوحي أو هدى أو أتى الخلق بتبيين الحدود
من به الرحمن أسرى للعلى حائزا في حظرة القدس الشهود

* وقال بمناسبة ختم الشمائل النبوية بمصر ليلة الاثنين الحادي والعشرون من رمضان سنة ١٠٣٠هـ:

يا مطاعا ويا أحل مكين عند ذي العرش ربنا الديان
إن خير الآلاء منك علينا أن هدينا لأفضل الأديان
وحبينا بعلم بعض حلاك الغر يا داعينا إلى الإيمان

(المقّري، ٢٠٠٤م، ص٨٤).

* وفي هذه الأبيات يصف الشوق والوحشة والحنين (هواري، ٢٠١٠-٢٠١١م، ص٤٤) إلى مكّة المكرّمة والمدينة المنورة فيقول:

ولم أنس عهد الضّاغنين وغادروا متيّمهم هيمان لم يملك الصّبرا
فيا زاجر الأضغان وهي ضوامر ترفّق بها بالله لا تكثر الزّجرا
وحيّ غريب الحيّ خير تحيّة وبلّغ سلام الهائم المغرم المغرى
ولا تنس سكان العقيق فإنّهم من العين أجروه دموعا غدت حمرا

* وفي هذه الأبيات يصف حالته النفسية بسبب بعده عن الحبيبة مكة والمدينة وهو موجود بسوسة، حين تأهّبه لركوب البحر بغية زيارة الروضة الشريفة حيث راحة البال وراحة الروح من هوس الحياة(هواري، ٢٠١٠-٢٠١١م، ص٤٥):

وفي سوسة فقد كان رقم برودها وقد وقع التصميم أن أكب البحر
فلا تغفلونا من دعاءكم عسى نرى عن قريب روضة المصطفى الغرا

* وروى لنا المقري قصيدة طويلة وجميلة، وهي قصيدة" زهر الكمامة في مديح المظلّل بالغمامة" في مدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بعث بها إلى المقري، أبو الحسن علي الشامي الفاسي، يصف فيها الشوق إلى النبي صلى الله عليه وسلّم والمدينة النوّرة جاء فيها ما يلي:

سـام النـوى قتلـي ورامـه من غيث عن نجد ورامه
والقـلب منـي قـد غـدا أمد المدى بيدي غرامه
وزفير نار البعيد في الأحشاء قـد أبـدى ضـرامه
شـوقـا لـتربة يثـرب مغنى الرسالة والكرامة
يا لائمـي فتي الحـب مه منع النوى عني الكرمه

(المقّري، ٢٠٠٤م، ص٢١٢).

وعموما مما تميّز به علماء تلمسان وحكّامها هو اهتمامهم بنظم القصائد الشعرية النبوية وتوجيهها مع ركب الحج إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم على شكل رسائل نثرية أو قصائد شعرية مثل القصيدة النوتية التي أنشدها السلطان أبو حمو موسى الثاني، وأرسلها الى البقاع المقدسة رفقة رسالة يطلب فيها الثواب والغفران وتيسير الأسباب (أبو حمو الثاني، ١٤٢٨هـ/ ٢٠١١م، ص٢٣).

* كما حوى الكتاب مظهرا من مظاهر النشاط الثقافي والعلمي للمؤلف وهو المتمثل في إجازاته النظمية والنثرية التي أجاز بها طلبته وعلماء عصره، والتي فاقت العشرين إجازة، ومن بين هؤلاء العلماء والطلبة: أبو بكر السوسي المراكشي، تاج العارفين التونسي وأبو القاسم القيرواني...، أما عن إجازات العلماء للمؤلف فقد تضمن الكتاب إجازة واحدة وهي التي تتعلق بإجازة الشيخ بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد عبد الوارث الصديقي المالكي المصري للمؤلف، فكانت هذه الإجازة الاستثناء؛ بحيث كان هو من طلبها من أحمد الصديقي المصري، وجاءت مطولة ومؤرخة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٠٢٩هـ، وذكر في آخر الإجازة ما يلي: "وأجزت له بما رويته وأخذته، واستندت إليه

واعتمدته عن السلف العظام والسادة الأعلام...وأعظم من إليه استندت، الإمام شمس الدين محمد الصديقي، وشيخ مشايخ الإسلام أبي الحسن الصديقي، والإمام محمد الرملي الشافعي، وشيخ الاسلام محمد البنوفري المالكي، إلى أن ختم هذه الإجازة بالحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار" (المقّري، ٢٠٠٤م، ص١١٥).

* تضمن الكتاب فنونا أدبية شاعت في عصر المؤلف، وهي ظاهرة التلغيز نظما ونثرا، ومن الذين لاغزوا المؤلف عالم وفقيه ومفتي الجزائر "سعيد قدورة" (الحفناوي، ١٩٨٤م، ص٦٦) في "لفظ القوس" نثرا فأجابه، وممّا ذكره حول هذا اللّغز: "كتب إلي مفتي الجزائر وعالمها وإمامها وخطيبها الأخ في الله سيدي سعيد الشهير بقدورة حفظه الله ملغزا في القوس:

يا بارعا أربى على ذوي النّهى ولامعا يسمو على نجم السهى
لفظ تراه في كتاب الله أتى مثنى يا أخاه انتباه
ولم يثن فيه واصطحبه في السفر المبرور تستطبه

فأجبته:

الحمـــد للـه الـــذي ألهـما لحلّ مشكل عرا وأفهما
وصـلـــواتـه عـــلى المقـرّب كقاب قوسين النّبيّ العربي
ثمّ الرّضى عن صحبه وعشرته الفـائزين بمـزايا إثـــرته

وبعد: يا صدر الكمال والورع فقد أتانا نظمك الذي عجز عن ألفاظه قاريها، فأسلم القوس إلى باريها، وكيف لا وقد رمى عنها، فلم تحط شريد الفهم (المقّري، ٢٠٠٤م، ص٧٢).

كما لاغزه في لفظ الصّنبر بتسعة أبيات فأجابه المؤلّف بأحد عشر بيتا لحلّ هذا اللّغز، ولاغزه أيضا إبراهيم السحوري في "كلمة التيه"، وعلي بن أحمد الفاسي في "لفظ أمس"، ومحمد بن عبد الرحم الأعمش في "كلمة رمضان"، أما المؤلف فقد كتب لغزا في "لفظ

كتاب" وأجابه عنه الفقيه عبد السلام بن الناصر الفاسي(المقّري، ٢٠٠٤م، ص) ، وكان التلغيز نوعا من وسائل الترفيه والتسلية والرياضة الأدبية، يتعاطاه الفقهاء والشعراء والأدباء على حد سواء.

* احتوى كتاب الرحلة أيضا معلومات تاريخية تضمنتها رسائل المؤلف إلى بعض أعلام عصره منها الرسالة التي بعثها إلى صاحب الزاوية الدّلائية والرسالة التي بعثها إلى أحمد نقسيس التطواني زعيم الفئة الجهادية على عهد السعديين، ورسائل ومكاتبات كان يتبادلها مع مفتي مكّة المكرّمة وخطيبها أحمد بن عيسى المرشد مع المؤلف منها تلك المؤرخة في ذي القعدة سنة ١٠٣٥هـ التي أخبره فيها عن قدوم خمسة مراكب من الهند إلى الحرمين الشريفين، وكذلك الرسالة الثانية المؤرخة في جمادى الثانية ١٠٣٦هـ التي أطلع فيها بن مرشد المؤلف على أخبار الإمام المتغلّب على بلاد اليمن واستيلائه على غالبها ومحاصرته صنعاء، وآثار تلك الثورة على أهل الحرمين بسبب حرمانهم من غلالهم، هذا فضلا عما احتوته تلك الرسائل من إشادة بمكانة وسمعة المقّري لدى أهل الحجاز، وتلبية جميع مطالبه من طرف حكامها وأعيانها، سيّما تلك المتعلّقة بوصاياه خيرا في شأن الوافدين من مصر وغيرها إلى البقاع المقدسة(المقّري، ٢٠٠٤م، ص١٤).

أما عن طريقة تحرير الرسائل ومميزاتها فنستنتج أن المقري التزم هو الآخر بالطريقة التي حددها القلقشندي (١٩٦٣م، ص٣٠) في خمس مميزات وهي:

١- إضافة ميم الجمع في مخاطباتهم تكريما للمكتوب إليه وإجلاله.
٢- استعمال عبارة: "إنا كتبنا إليكم كتب الله لكم (كذا)".
٣- ذكر الخليفة والدعاء له بعبارات الترضية.
٤- ذكر المكتوب إليه باسمه ضمن الرسالة.
٥- تختم الرسائل في الغالب بالسلام وأحيانا بالدعاء (ابن خلدون، ٢٠٠٧م، ص٢٤٨).

وتبرز الميزة الأولى عند المقري حين كتب إلى شريف مكة محسن بن الحسين بقوله: "...إن العبد من الشوق إلى جنابكم الكبير الذي يستنشق من تلقائه ما يزري بالعبير، ما يقصر عنه التعبير"(المقّري، ٢٠٠٤م، ص٧٦).

أما الميزة الثالثة والرابعة، فتبرزان من خلال قوله: "...الإمام الذي جعله الله محسنا باسمه، وفخر السلالة النبوية، ذرة الزين وقرة العين، سيدنا ومولانا الشريف محسن بن الحسين، جعل الله الأيام مقرونة بطول حياته والأنام معمورين برعايته...وكتب له عزا لا تمطله الأيام في تقاضيه، ونصرا لا يزال مبنيا على الفتح ماضيه آمين"(المقّري، ٢٠٠٤م، ص٧٦)، ويذكر محمد بن معمر محقّق الكتاب أن أسلوب المقّري في كتاب الرحلة لا يختلف عن أسلوبه في بقية كتبه ومخطوطاته فقد حاز قصب السبق في فني المنظوم والمنثور وذلك بشهادة معاصريه(المقّري، ٢٠٠٤م، ص١٤؛ المحبي، د.ت، ص٣٠٢)؛ فهو صاحب نثر علمي سلس التركيب سليم التعقيد قريب المعنى مجرد من أساليب الكتابة، أما نثره الفني المسجع فهو متن التركيب قوي البيان حسن الديباجة وجيد السبك، وامتاز نثره المرسل ببساطة التركيب وقصر الجمل وجزالة اللفظ، فقد كان له الفضل في تقدم فنّي الكتابة والترسّل في وقت كاد الإنتاج الفكري يقتصر على شروح الفقه ومقامات التصوّف.

وصفوة القول وحسب ما أوردته المصادر ومن خلال رحلته فإنّ المقّري قد ألّف معظم كتبه الدينية في الحجاز في الحرمين الشريفين، وخصوصا عند قبر الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ومنها ما هو في السيرة النّبوية مثل "فتح المتعال في مدح النّعال" وهو في بحث في النّعال النّبوية ألّفه في المدينة المنوّرة وكتاب "أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بالإسراء والامامة"، وهو بحث في عمامة وملابس النبي صلّى الله عليه وسلّم، وكتابا في الأسماء النبوية سمّاه:" الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين" (المحبي، د.ت، ص٣٠٣)، وكتاب آخر سمّاه:" الأنوار وكنز الأسرار في نسب آل النبي المختار"، ورغم ولوعه بالأدب والتاريخ إلاّ أنّه أخذ سند الحديث عن شيوخه من المغرب والمشرق، ويذكر أنّ له فهرسة بأسانيده(المحبي، د.ت، ص٣٠٢)، وكان من البرزين في الحديث والتوحيد،

وهو على خلاف معظم علماء عصره لم يكن من المتصوفة، وقد أصبحت " إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة" تنافس عقيدة السنوسي في الأهمية، تناولت في خمسمائة بيت أصول الدين وقضايا التوحيد، وقام بتدريسها في مكّة ومصر ودمشق، وأجاز بها بعض العلماء منهم أحمد الشاهين بدمشق، وقد لخصها في الأبيات التالية:

وإنني كنت نظمت فيه لطالب عقيدة تكفيه
سميتها (إضاءة الدجنة) وقد رجوت أن تكون جنة
وبعد أن أقرتها بمصر ومكّة بعضا من أهل العصر
درستها لما دخلت الشاما بجامع في الحسن لايسامي

(المحبي، د.ت، ص٣٠٥)

لقد كان المقّري كثير الحجّ مع الركب المغربي، حتّى بلغت حجاته سبع مرات، أدّى العمرة سنة ١٠٢٨هـ ثمّ الفريضة بعدها في السنة الموالية، وقال عن نفسه أنّه كان ينوي الإقامة عند البيت العتيق الذي أخذته عنده رعشة وانبهار، ولكنه عاد إلى مصر سنة ١٠٢٩هـ ومن ثمّ أصبح يتنقل بين مصر والحجاز وبيت المقدس ودمشق (سعد الله، ١٩٩٨م، ص ٣٥)، واتصل بالوجهاء والعلماء، واتصل أيضا ببعض الأمراء، ومدح هؤلاء بالشعر، وأظهر حفظه الواسع وموهبته الأدبية فوجد تقديرا كبيرا، وتبادل مع العلماء الرسائل والإجازات والمدائح والطرف والهدايا والأشعار فابتسم له الحظ في آخر أيامه، وفي هذا الجو عاش المقري حياة اجتماعية وعلمية شبيهة بحياته في المغرب العربي، في تلمسان أو في فاس، ونختم بما ذكره أبو القاسم سعد الله في ترجمته لأحمد المقّري: " لو حاولنا أن نترجم للمقري ترجمة تقليدية لضاق عنه مجال هذا الكتاب (كتاب التاريخ الثقافي)، لأنّ إنتاجه غزير وحياته خصبة وتأثيره كبير..." (سعد الله، ١٩٩٨م، ص ٢٢٦).

وحتّى نعطي صورة واضحة عن محتوى هذه الرحلة؛ نرصد في الجدول والرسم التاليين أعداد ونسب الرسائل والقصائد وكذا الإجازات والألغاز وغيرها من مضامين الكتاب:

رسائل ومخاطبات	قصائد مدح -رثاء - إنشاد	الإجازات	الألغاز والأسئلة ...
٣٠	٣٥	٢١	١٤

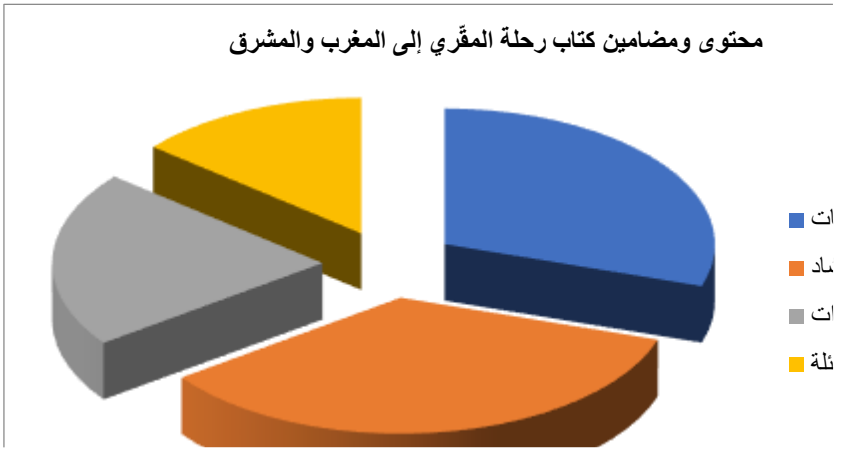

٢- رحلة المجّاجي الحجازية:

سميت هذه الرحلة الحجازية نسبة إلى صاحبها وهو: عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي؛ نسبة إلى بلدة مجّاجة قرب مدينة الشلف (بوشمة، ٢٠١٥م، ص٦٧؛ ابن عمار، ١٩٨٨م، ص٨٨)، كما جاء في الأبيات الأخيرة من الرحلة:

مجاجي الأصل ثمّ دارا ونشأة وربي أله العرش يدخله جنة

(المجاجي، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، ص٢).

بتاريخ عام ثالث لوقوفنـــا من الحادي عشر بعد ستين عدة

(آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص٢٠١)

وهي قصيدة منظومة بالشعر الفصيح في أربعمائة وسبعين بيتا من البحر الطويل، مقيدة في اتجاه الرجوع من الحج- أي رحلة العودة- وبالتحديد بعد أداء فريضة الحج والخروج من مكّة المكرّمة قاصدا زيارة المدينة، وقد دامت هذه الرحلة أكثر من سنة، وسمّاها

أبو القاسم سعد الله بـ:" الرحلة إلى مكة" أي أنها كانت من مجاجة إلى مكة المكرمة في قصيدة مطولة فصيحة سنة ١٠٦٣هـ(آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص٢٠٣)، فما هو إطار الرحلة العام؟ وما هي أهداف المجاجي وغاياته؟ وما مسار الرحلة وأهميتها؟ وكيف ساهمت في التواصل العلمي والتلاقح الفكري بين الحجاز والجزائر؟

- إطار الرحلة وأهدافها:

لقد جاءت هذه الرحلة منتظمة المراحل واضحة الأهداف، راجحة المقاصد، دقيقة المعاني كاملة متناسقة ذات وحدة موضوعية، لم يختل معناها في أي بيت، جلية المفاهيم، محددة المواضيع وكأن صاحبها فنان رسم لوحة زيتية، كل خط ولون فيها يعرف عن نفسه بصريح العبارة، لا يحتاج لمترجم يترجم له كلامه(آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص٢٠٣).

إنّ رحلة المجّاجي تكاد تكون المصدر الوحيد الذي يترجم لصاحبها، يتجلى منها أصله ومنشأه إلى جانب عصره وبعض شيوخه، وأهم العلوم التي برز فيها، ولعلّ أبرز ما هدف إليه المجاجي عندما كتب رحلته ملأ الفراغ الذي كان يسود المنطقة، من حيث انعدام المؤلفات وخصوصا أدب الرحلات الجزائري، كما أنّ نظمه الرحلة نظما مبسطا حسب ثقافة ذلك العصر، هدف من ورائه تيسير حفظها والتسهيل على الحاج دربه في قصد البقاع المقدسة، حيث أعطى وصفا دقيقا ومختصرا لكل موضع يمرون به، وإن تعذّر له ذلك ذكره بالاسم فقط (المجاجي، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، ص١٨٢).

والواضح أنّ الهدف الجلي من الرحلة هو التحديد الجغرافي للمعالم التي في طريق الحج مبينا فيها الأماكن السهلة والوعرة معا، من حيث وجود المياه والمؤونة والأمن ليتبصّر من بعدها الحاج ويقتفي أثره ويعرف من خلالها مدى استطاعته أو عدمها، وقد شملت وجمعت ما بين معلومات شتى ومتنوعة المجالات كالتصوّف والتاريخ والجغرافيا والتراجم وبالخصوص المادة الخبرية التاريخية والجغرافية، فهي إذن بمثابة شهادة حيّة لعصر المؤلّف في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية، فالإشارات الدينية والتي تعكس الطابع الصوفي لمؤلّف الرّحلة تظهر مثلا من خلال مدحه لجملة من علماء

الصوفية إلى جانب بقية العلماء، سواء الذين رافقهم في ركب الحجّ أو التقى بهم في طريقه، حيث ذكر لهم بعض المميزات العلمية كعلم القراءات عند أبي سلطان المزاحي، والفقه عند الشيخ سحنون.

لقد وصف لنا المجّاجي المناطق التي كان يمر بها ملتزما بالموضوعية، وقدم لنا ملاحظات هامة عن ركب الحج الجزائري وكيفية تكوينه واهتمامات أهله، ومعلومات وتفاصيل خاصة وهو يمدح أمير ركب الحج ويبرز مكانته وأملاكه في الزيبان وبسكرة وعلاقته بالسلطة(المجاجي، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، ص ص ٢٠٤-٢١٤).

وعموما فقد قدم صورة حول الظروف التي يؤدّي فيها الجزائريون فريضة الحج، ومدى تشوّقهم إلى زيارة الأماكن المقدّسة بالرغم من الصعوبات التي كانت تواجههم في سبيل ذلك، والأمر المهمّ هو الصورة الواضحة عن الصّلة المزدوجة بين الرّحلة إلى الحجّ والرّحلة إلى طلب العلم في آن واحد، وهو ما ميّز الرحلات الحجازية عامّة والدور الذي لعبه ركب الحجّ ثقافيا واقتصاديا، وترك انطباعات حسنة وطيبة حول انتظام الركب وتنظيمه من قبل أميره، وعدم إغفال أهمية ودور المرأة في المجتمع وهي ممثّلة في السيّدة عودة بنت محمد بن علي ابهلول والتي خصّها بأبيات عديدة ذكر فيها خصالها وقدرها ومدى تعلّق النّاس بها لخصالها الحميدة، ومن هذه الخصال اكساب المعدوم وإكرام الضيف والإعانة على نوائب الدهر حتى أكرمها الله بالدفن في خير البقاع بالبقيع(آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص ص٢٠٤-٢١١).

- مراحل ومسار الرحلة:

لقد سلك المجاجي في رحلته الطريق البري الذي يصل بين المغرب والمشرق، وبالتحديد بين الحجاز ومصر مرورا بطرابلس وتونس وصولا إلى مجاجة بالجزائر، وهذا الطريق هو نفسه الذي سلكه جل الرحالة المغاربة، سواء انطلقوا من المغرب الأقصى أو من الجزائر، كالعبدري وابن بطوطة والورثلاني وغيرهم كثير، ويمكن تقسيم الرحلة إلى ثلاث مراحل وهي: ١- مرحلة الحجاز، ٢- مرحلة مصر والإسكندرية، ٣- مرحلة بلاد المغرب

(من صحراء برقة إلى طرابلس مرورا بتونس فالجزائر)، ولانتظام هذه الرحلة تمكنت محقّقة مخطوط الرحلة سعاد آل سيد الشيخ من إحصاء عدد أبيات كل مرحلة مرّ بها المجاجي، وما خصّصه لكلّ قطر في مؤلّفه من أبيات، بل حولت العدد إلى نسب مئوية ثمّ مثّلتها برسم وألوان وحوّلتها إلى دوائر نسبية، فأصبحت العداد والنسب كالتالي: فقد خصّ بلاد الحجاز بـ: ٧٥ بيتا / ١٩,٦٨ ٪، ومصر بـ: ٧٦ بيتا / ١٩,٩٤٪، أما بلاد المغرب فقد خصّها بـ: ٢٣٠ بيتا / ٦٠,٣٦٪ (آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص ص٢٠٤-٢١١).

ولتكتمل الصورة المجالية للرحلة؛ قامت المحقّقة بإحصاء ومسح المدن والقرى التي ذكرها المجاجي في رحلته، وكذا الآبار والوديان والجبال والجوامع والجدول والرسم التاليين يرصد ويوضح لنا ذلك:

المدن والقرى	آبار المياه	الجبال والوديان والمواضع	الجوامع أو المساجد
٤١	٣٢	١٠	٠٩

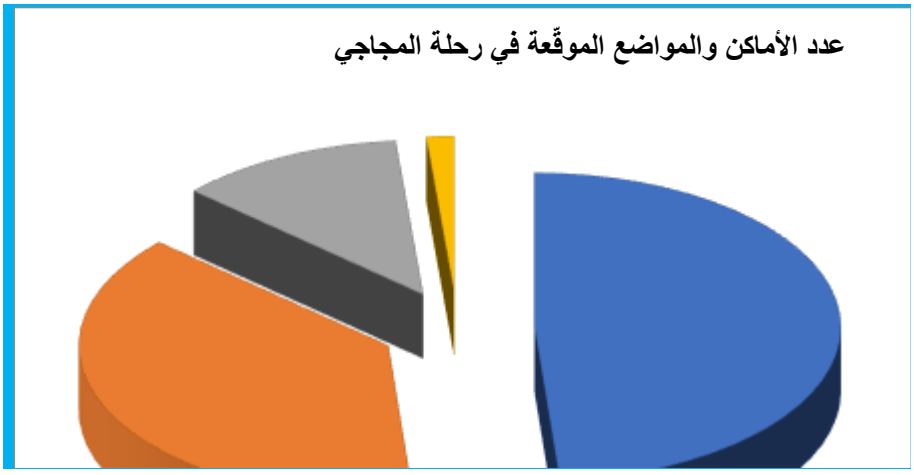

وما يهمنا في هذه الدراسة هي المرحلة الأولى:

- **مرحلة الحجاز**: وتضمّ هذه الرحلة طريقين هما:

- الأوّل: طريق الرحلة من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة: ومن أهمّ المحطّات والأماكن التي مرّ بها المجاجي ووقّعها في رحلته هي: واد فاطمة الزهراء-أبيار عزفان-خليص-رابغ-بزوة-بدر- عريش المصطفى- الخيف- جديدة- جبل المفرج- أبيار علي- المدينة المنوّرة.

- والثاني: طريق الرحلة من المدينة المنوّرة إلى مصر: ومن أهم محطاتها: الينبوع (أين تمّ الاحتفال بعاشوراء في ١٠محرّم ١٠٦٤/ ١٦٥٣م- الوجه- النخيل- عجرود- رابغ- عقبة- ظهر الحمار- مغارة شعيب- نهر القصب- الاكراه- حورة- التبط- أبيار عنتر- وبعدها الدخول إلى مصر.

- الطريق الأوّل: لقد بدأ المجاجي رحلته من أرض الحجاز وبالتحديد في الطريق الواصل بين مكة المكرمة والمدينة المنوّرة، مختصرا ما مرّ به بقوله:

نشق الفيافي فدفدا بعد فدفد جبالا وأوعارا وأرضا وطية.

(آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص٢٠٧؛ المجاجي، ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م، ص٨٣).

ليعدد محطات تنقله مع ركبه بين الآبار والقرى الحجازية، بدءا من وادي فاطمة الزهراء، وآبار عزفان، فالخليص، وصف فيها كثرة المياه، وصولا إلى رابغ محلّ إحرام الحجيج والتلبية متجاوزين الصحاري المقفرة الصعبة المسالك القليلة المياه، ليمروا ببلدتي بزوة والخيف التي قال عنها:

هي بلدة من مدائن الدرب فيها ما يقرنه الحجاج وقت الإقامة.

وحدثنا بعدها أيضا على خبر وفاة السيدة عودة بنت محمد بن علي ابهلول، فكانت المناسبة مواتية لذكر خصال هذه المرأة الشريفة التي تعدى سنها التسعين سنة، تلك المرأة الصالحة التي ظلت تعين الناس ومما ساعدها على ذلك من الناحية الاجتماعية والمادية، ما كان بحوزتها من ممتلكات، وكان من كرم الله لها هو دفنها بأرض البقيع، وبعدها تأتي أولى

بشائر قربهم من المدينة المنورة وجبل الفرج مارين ببئر علي المنسوب لعلي بن أبي طالب سيف الله كما لقّبه المجاجي(عطية، ٢٠١٥م، ص٥٦) ، ليدخلوا المدينة المنوّرة صباح يوم الخميس مستفتحين مزاراتها بالمسجد النبوي الشريف، مستنين بركعتي نافلة في أطهر البقاع في الروضة الشريفة (المجاجي، ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م، ص٨٤).

وبعد إتمام الزيارة بأداء صلاة الجمعة وبقية الصلوات بالحرم النبوي، لما ثبت من فضل الصلاة في تلك الرحاب المقدسة بألف صلاة لما سواها، إلى جانب ختم كتاب دلائل الخيرات برحاب الحرم النبوي في ليلتي الخميس والجمعة، وقد حبس مجموعة من الكتب كلها بخط يده، قاصدا بها وجه الله تعالى وطالبا المغفرة والتوبة، مستكملا مزاراته رفقة الركب بالبقيع وشهداء أحد (المجاجي، ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م، ص٨٥).

-الطريق الثاني: لقد كان الحال في الوصف متشابها في بقية معاطن درب الحجاز، ولهذا تميزت مرحلة الحجاز باللمحة المختصرة في معناها والجلية في أهدافها، أعطى فيها الترتيب المساري للمعاطن(وهي مبرك الإبل ومربض الغنم حول الماء)، والدروب بالتركيز على منازل السقي والمؤونة، إلى جانب التحلية بنفحات المحبة مع مزارات الطيّبة بمدينة طيبة، مستعجلا في الحديث عن مصر.

كانت الوجهة هذه المرة نحو الديار المصرية، والبداية بمنازل درب الحجاز الرابطة بين المدينة المنوّرة ومصر، ومن آبار السقي والتزوّد بالمؤونة وأولى محطاتهم بها بندر الينبع أين احتفلوا بيوم عاشوراء والذي صادف١٠محرم من سنة ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م، وبعد ذلك توجّهوا غربا متجاوزين القفار بسرعة ومتنقلين ما بين البنادر كبندر ظهر الحمار، ومغارة شعيب (المجاجي، ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م، ص٨٦). وبندر الاكراه والأزلم، وظهر والقصب وحور والنبط وأبيار عنتر، وكذا بندر الوجه ومالح ثمّ بندر النخيل وعجرود والعقبة:

فوجه مالح وثم نخيلهم وعجرود أيضا رابع ثم عقبة

- مرحلة مصر الإسكندرية:

أخبرنا المجّاجي أنه التقى بمصر بالشيخ علي الأجهوري (المحبي د.ت، ص ١٥٧) الذي وصفه بقوله:" هو شيخ المالكية في عصره بالقاهرة وإمام الأئمة، له مؤلفات كثيرة منها شروحه الثلاثة على مختصر خليل في فقه المالكية..." ، وزار بالإسكندرية قبر أبي العباس أحمد المرسي وقبر ابن الحاجب، وقد أبدى إعجابه بالمدينة بآثارها وتحدث عن بعض مزاراتها وأهل الصلاح فيها، وعن مسجد عمرو بن العاص الذي أعجب بطابعه العمراني واصفا مشهدا من تلك الزيارة في قراءة أمير ركبهم لأربعة اجزاء من سورة البقرة، من أحد مصاحف الإمام العتيقة، وقصد به مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه، لقد ركز المجاجي في هذه المرحلة على المزارات والمساجد والعلماء ومجالس العلم فيها، وكذا المشاهد الأثرية والاقتصادية من خلال ذكر إحدى أسواق مصر الشهيرة (آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص ص٢٠٧-٢٠٨).

- مرحلة بلاد المغرب:

خرج الركب من مصر متجها نحو بلاد المغرب وكله غبطة وسرورا، وما يدل على تلك الفرحة والفائدة التي نالها بتلك الزيارة قوله في البيت التالي: ومنها ارتحلنا قاصدين بيوتنا قضينا بحمد الله كل منونة.

وكانت بداية الطريق بصحراء برقة التي كانت محطة لاستراحة الركب من أعباء السفر والمنازل الصعبة (المجاجي، ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م، ص ص٣٢٦-٤٠٨).، وكان مما ذكره من أسماء للمدن والقرى والمنازل يصل عددها إلى اثنين وخمسين اسما، وبعد خروجه من بسكرة نحو مجاجة تحدث عن العلماء والفضلاء الذين رافقوه في الركب وخصهم بحوالي تسعة وسبعين بيتا ومنهم: علي بن محمد بن علي ابهلول وشقيقه عبد القادر الجيلالي وأبو الحسن بن ناجي وغيرهم كثير(عطية،٢٠١٥م، ص ص ٥٧-٥٩؛ سعد الله، ١٩٩٨م، ص ٤٠٢)،كما أبرز العلاقة الطيّبة بينه وبين بعض شيوخ الركب، وتكون نهاية الرحلة ببلدة مجاجة وتكمل فرحته بلقاء الأحبة والأقارب، وفي الختام يأتي بتسعة أبيات للصلاة على النبي

المختار وآله الأخيار وصحابته الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ويعرف بنفسه وأصله ومنشأه وبتاريخ وقوفه بجبل عرفة سنة ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م.

* **جدول النسب المئوية للرحلة حسب كل قطر:**

القطر	النسبة المئوية
الحجاز	٪ ١٩,٦٨
مصر	٪ ١٩,٩٤
بلاد المغرب	٪ ٦٠,٣٦

* **تمثيل النسب المئوية للرحلة بالدائرة النسبية:**

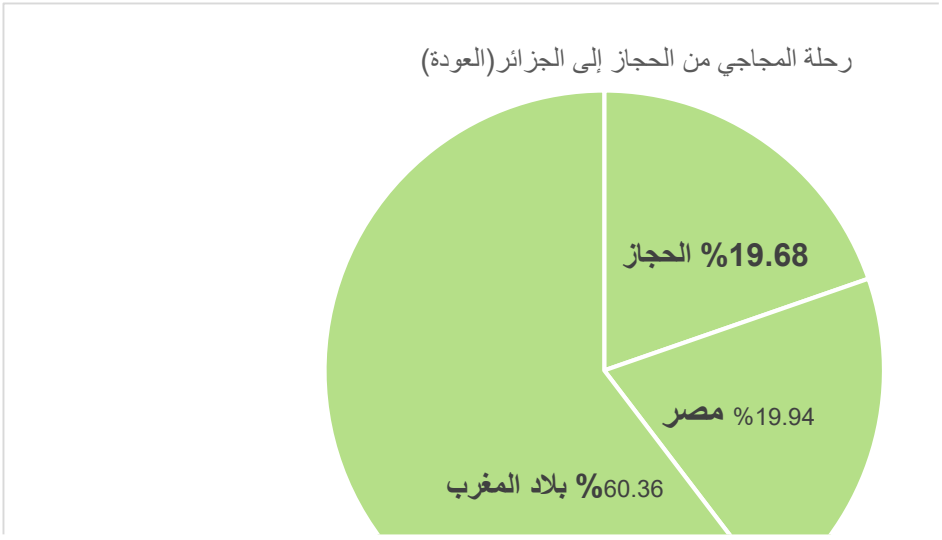

* تمثيل النسب المئوية للرحلة بأعمدة بيانية صاعدة:

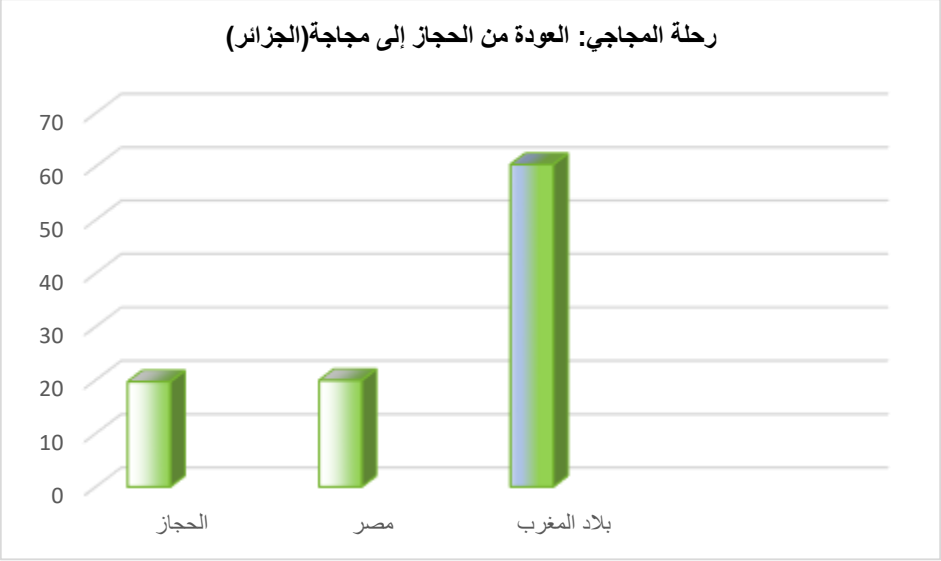

٣- أهمية رحلة المجاجي وأثرها في التواصل بين الجزائر والحجاز:

نستنتج مما سجله الرحالة المغاربة عامة، عن كيفية تنظيم قوافل الحج والطريق التي تسلكها في اتجاه الحجاز أو العودة منه، بأن لها دورا اقتصاديا وثقافيا زيادة عن الهدف الأسمى وهو أداء فريضة الحجّ، فعن طريق ركب الحج يمكن للحاج أن يحقق غايات وأغراض دينية ودنيوية، فهي رحلة للحج ولطلب العلم والمال معا.

كما تكشف هذه الرحلة معلومات هامة عن مراسيم استقبال ركب الحج الجزائري عند دخوله مدينة الجزائر ومصر والحجاز، أظهرت أيضا ظروف وأوضاع ركب الحج ومرافقيه وهيكلته الداخلية وطريقة تنظيمه، سواء كان ركب الحج جزائري أو مغربي أو مصري، فإننا نجد إشارات عن كل هذه الرّكاب مع رحلة المجاجي.

فمن خلال أسلوب المجاجي في نظمه للرحلة تنعكس ثقافته ذات البعد التاريخي والفكر الصوفي ذو اللمسة الفقهية الأدبية، استعمل أسلوب سليم ومنهج دقيق يتأكد بتوثيقه للمعلومات، باعتماده على المصادر المكتوبة والموثوقة ومن المصادر المكتوبة التي اعتمدها نذكر: كتاب "المستطرف في كل فن مستظرف" لشهاب الدين الأبشيهي، أخذ منه في الزيارة التي قام به المأمون بن هارون الرشيد للأهرام بمصر والتصوير الوصفي الذي استنبطه في بناء الهرم الأكبر، كما اعتمد على المقري في تصحيح ما نقله من معلومات خاصة بالأهرام، وأخذ من " ألفية العراقي" (آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص ص٢٠٤-٢٠٥)، وعلى مشاهداته المباشرة للأشياء وتأثره بها وكذا تنقلاته بين المدن والقرى التي أوحت إليه بما سجله كقوله:

رأيناه بأبصارنا مع شيـخنا وقرأ منه أيضا حزب البقرة

ولا يوجد بناؤها في جميع ما راته عيوني من مدائن كثيرة

ومصادر شفوية تلقاها مباشرة من أشخاص معاصرين له وعبّر عن ذلك بقوله:

كذلك سمعنا عمّن له بهم خبرة وهو صحيح بالدّليل وحجّة

(آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص ٢٠٥).

مع ندرة التكرار والإطناب في النص، ومن أجل ذلك التنسيق وتلك الدقة نجده يعرف متى يعلق على الخبر، ومتى يذكر القصة التاريخية أو المسائل الفقهية، فهو على اطلاع واسع بكتب السير والتاريخ والرحلات، تجعل رحلته مثلا يقتدى به في التيسير لأي مسافر بأن يطلع على مسار الرحلة السليم والدقيق في أسماء الأماكن التي يمرون بها من أرض الحجاز إلى أرض الجزائر أو العكس، وكذا المدّة اللازمة لذلك، خاصة وأنه جزأ الرحلة إلى مراحل منتظمة ليسهل تناول معانيها وبالتالي إمكانية حفظها، وتيسير تداولها بين الناس، قصد الاستعانة بها في أسفارهم إلى الأراضي المقدسة.

وبالرغم من أن الرحلة منظومة مقتضبة وجزئية اقتصرت على العودة من الحجاز، إلاّ أنّ المجاجي صوّر الأماكن التي مر بها والمدن، تصويرا يتفاوت في الطول والقصر ورصد

إشارات مهمة كوجود الماء بها وطبيعته إن كان صالحا للشرب، وكذا المؤن التي يحتاجها الحاج والمسافر والكلأ للدواب، إلى جانب مدة إقامتهم بها، وقد ركّز في وصفه على ثلاثة نواحي: المرافق كالمساجد والأسواق والمنازل والمياه والأبواب والبساتين، والمشاهد كالمقابر وآثار الأنبياء والصحابة والعلماء والمواقع الإسلامية، والأرباض كالأحياء والضواحي والجبال والوديان، ففائدة هذه الرحلة من هذه الناحية ترجع لإعطاء معلومات عن الأرضي الحجازية والديار المصرية في هذه الحقبة من التاريخ، فتكون بذلك حلقة من سلسلة الرحلات الطويلة التي وصفت هذه المراحل وعينت المنازل والمناهل، وتصلح بذلك لوضع خريطة طريق الحجاج عبر التاريخ، وتحقيق أسماء المراحل التي يمرون بها، والمسافات التي بين كل مرحلة والتي تليها (آل سيد الشيخ، ٢٠١٤م، ص ٢١١)، ويمكن اكتمال فائدة هذه الرحلة وتغطية النقص بالاستعانة برحلات أخرى أكثر تفصيلا كرحلة العياشي والورتلاني والجبريتي وبالخصوص خلال القرن الحادي عشر وحتى الثاني عشر بسبب قلة الوثاق والمعلومات وندرتها.

وصفوة القول أن أثر رحلة المجاجي في التواصل العلمي والفكري بين الجزائر والحجاز تتجلى في اهتمام المجاجي بفنّ الشعر، الشيء الذي جعله يقوم بحبس مجموعة من القصائد كان قد نسخها بنفسها بالمسجد النبوي، منها: قصيدة" دلائل الخيرات" لأبي عبد الله الجزولي، وقصيدة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" المعروفة بالبردة لشرف الدين البوصيري، وقصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم للأكحل بن عبد الله الخلوفي، إلى جانب مؤلفات أخرى في السيرة النبوية ككتاب" الشمائل النبوية" للترميذي، و" شفاء السّقام في زيارة خير الأنام" لتقي الدين السبكي، كما قام بنسخ الكتب ومنها: المصحف الشريف الذي تركه حبوسا بالمسجد النبوي وغيره من الكتب حيث يقول:

وحبست مجموعا بخطّنا توالفه ترى على العدّ كثرة

(المجاجي، ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م، ص ٢٠٢).

ثالثًا: نماذج من رحالة القرن١١هـ/ ١٧م إلى الحجاز:

وكان ممن رحلوا إلى الحجاز خلال القرن ١١هـ/ ١٧م، إمّا للحجّ أو طلبا للعلم أو هما معا وهو ما ميّز الرحلات الحجازية في هذه الفترة نذكر:

- عيسى الثعاليبي: الذي قصد الحج عام ١٠٦١هـ فأدّى الفريضة وجاور بمكّة سنتي ١٠٦٢-١٠٦٣هـ، وأخذ العلم من شيوخ الحرم ثمّ قصد مصر ومكث بها سنتي ١٠٦٤-١٠٦٥هـ، وأخذ عن علمائها، وخصوصا علي الأجهوري ومحمد البابلي والخفاجي، كما أخذ الطريقة أيضا عن أبي الحسن علي المصري ودرس عليه، كان يلتقي بالمغاربة ويساعدهم على شقّ طريقهم، كما فعل مع العياشي في حجته الأولى سنة ١٠٦٤هـ، وفي السنة الموالية ١٠٦٥هـ عاد الثعاليبي إلى مكّة وأخذ يدرس الحديث متسلحا بعلوم متعددة وأساليب متنوّعة ساعدته على جلب الناس إليه (سعد الله، ١٩٨٥م، ص٥٨)، كما أجاز الشيخ أحمد بن سعيد الدلائي سنة١٠٦٨هـ بمكّة المكرّمة، وبعد أن مكث سنوات دون عزبا تزوّج من جارية اشتراها، وأنجب منها أولادا حيث ذكر العياشي أنّه هنّأه بواحد منهم أثناء حجته الثانية سنة ١٠٧٣هـ (المحبي، د.ت، ص٢٤٠).

لقد جمع الثعاليبي العلم إلى الزهد ولذلك كان مقبولا عند أهل الظاهر والباطن، ووصفه مترجموه بالذكاء الحاد وقوة الهيبة في التدريس والتمكّن من الفقه المالكي، فكان مشهورا برواية الحديث ووفرة العلوم والدرس، وغير مشهور بكثرة التأليف، ومع ذلك فقد ترك أعمالا ذات قيمة كبيرة من ذلك فهرسه المعروف ب:" كنز الرواة"، أو "مقاليد الأسانيد"، فقد تتبع من أجله خزائن الكتب الكبيرة في مصر والحجاز واستخرج منها نوادر المؤلفات وقيد الكثير منها، ودرس تلك المصنفات والمجاميع والإجازات حسب أزمنة مؤلفيها، وكان يختار من كل كتاب أعلى ما فيه، وضبط من الأسماء والأنساب، فوصف هذا الفهرس بأنّه: "أعظم الكنوز وأثمنها وأوعاها"(سعد الله، ١٩٨٥م، ص ص٦٠-٦٢).

- يحيى الشاوي: الذي اتخذ الحج طريقا للرحلة فبعد أدائه فريضة الحج عاد إلى مصر سنة١٠٧٤هـ، وأخذ العلم عن البابلي والمزاحي والشرابيلي وأجازوه، وتولى أيضا إفتاء

المالكية وجلس للتدريس في الأزهر، وقد تتلمذ عليه عدد من العلماء وأجازهم أيضا(سعد الله، ١٩٨٥م، ص ص١٠٨-١١١) كان كثير الترحال، متعدد الاختصاص، متبعا طريق أهل السنة، حافظا ومدافعا عن علوم الظاهر ومجانبا لعلوم أهل الباطن، حتى اتهمه خصومه بمعاداة أهل التصوّف، قد دخل مصر وأقام بها ثلاث مرات على الأقل، الأولى بعد إتمامه فريضة الحج، والثانية والثالثة بعد زيارتين لإسطنبول، التي توجه إليها هي الأخرى مرتين، وفي كل مرة كان يحظى بالتقدير والتبجيل من طرف الشيوخ والعلماء وحتى من طرف أعيان وكبار الدولة (سعد الله، ١٩٨٥م، ص ص١١٣-١١٧)،كان الشاوي سليط اللّسان وكثير الانتقاد، فقد هاجم لقولهم بنفي الصفات بهذه البيات:

أقول لكم فلسفـــي بـــدين الا لعنة الرحمن تعلو مزورا
أجبريل فلك عاشر ياعداتنا اعادي شرع الله نلتم تحيرا
باي طريق قلتم عشر عشرة ونفي صفات والقديم تحجرا
حكمتم على الرحمن حجرا محجرا ومتعكم خلق الحوادث دمرا

(المحبي، د.ت، ص ٤٨٧).

لقد حجّ الشاوي كما ذكرنا عام ١٠٧٤هـ، ثمّ سمي أمير ركب الحجيج المغاربة بحيث ذهب عدّة مرات مع قافلة الحجيج إلى مكّة المكرّمة، وفي إ حدى هذه المرات حضره أجله، وهو في سفينة الحجيج سنة ١٠٩٦هـ في بحر القلزم(البحر الأحمر)، ودفن براس أبي محمد، ثمّ جاء به ولده عيسى الشاوي إلى مصر ودفنه في مقبرة المالكية.

- عبد الكريم الفكون: يعدّ أحد أبرز العائلة علما وعملا وسعة، ففي عهده بلغت عائلة الفكون أوج قوتها المعنوية والمادية، كما تمتعت في عهده ومن بعده بقيادة ركب الحج الجزائري إلى الحجاز، نشأ الفكون في كنف والده الذي كان هو أول شيوخه حفظ على يديه القرآن الكريم وتلقى المبادئ الأولية للعلوم، ثم عكف على تحصيل مختلف العلوم الشرعية واللغوية (الفكون، ١٩٨٧م، ص ص٧-٨)؛ فأصبح بارعا في فنون العربية لغة ونحوا وتصريفا وبلاغة وفي الفقه والحديث والتصوف.

لقد تقلد إمارة الحج أكثر من مرة وحصل على لقب شيخ الإسلام بعد أن بلغ نفوذه العلمي والروحي ذروته، وبالرغم من أنّ إمارة الحج بقيت في أيدي عائلته لسنوات عديدة، وكان آخر من تولاها محمد بن عبد الكريم بن بدر الدين الفكون الذي أدركه الاحتلال الفرنسي وهو يناهز الثمانين من عمره والذي توفي عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، فإنّ عبد الكريم الفكون والذي ظلّ يقود ركب الحجّ طول حياته لم يترك لنا رحلة مكتوبة، لكنه ترك معجما في تراجم الرجال والموسوم ب:" منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، ترجم فيه لأكثر من سبعين شخصًا من العلماء الصالحيين والمتصوفة الحقيقيين إلى العلماء الجهال والأولياء الدراويش، وغطى فيه تراجم القرن العاشر وبداية الحادي عشر الهجري، وختمه بمعاصريه ومنهم من رافقه وسافر معه في ركب الحج أو التقى بهم في البقاع المقدسّة أمثال أحمد المقري ومحمد ساسي البوني (سعد الله، ١٩٨٦م، ص ص١١-١٣).

خاتمة:

يستنتج مما سبق عرضه قيمة كتب الرحلة سواء كانت علمية أو حجية أو هما معا، تلك القيمة التي تجسّدت في عدة مجالات: ففي المجال الأدبي تبرز في القيمة الأدبية والفنية للرحلات من خلال ما رواه الرحالة في أحاديثهم ومذكراتهم ومؤلّفاتهم، مما جعلها تأخذ سبيلها إلى عالم الأدب بوصفها نموذجا أدبيا تتجلّى فيه القدرة على الوصف الدقيق، والتعبير الفنّي الصادق، القائم على أسلوب جميل يعكس قوّة البلاغة في العصر الذي كتبت فيه.

أما في الجانب التاريخي والعلمي فتتمثل في القيمة العلمية التي تكمن في احتواء معظم هذه الرحلات على معارف ومعلومات تمتّ إلى علم الجغرافيا وعلم التاريخ بأوثق الصلات، ففي الرحلات وأدبها صور وافية ومعلومات دقيقة عن الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحضارية بصفة عامّة للعرب ومن جاورهم من شعوب إفريقيا وآسيا وشطر من أوروبا، كذكر المعالم الأثرية والعمرانية، والعلاقات الاقتصادية، ووصف البلدان والممالك والأصقاع والمسالك والطرق والوديان وغير ذلك مما لا يزال يعتبر حتى يومنا هذا مرجعا أساسيا في دراسة جغرافية هذه المناطق وتاريخها الحضاري والسياسي.

أما عن رحلة المقري فتعتبر من الرحلات الفريدة من نوعها، لاحتوائها على معلومات ثرية ومتباينة التخصصات؛ أدبية نثرية وشعرية، اجتماعية وتاريخية وجغرافية مهمة تمسّ العديد من المناطق والبلدان التي مرّ بها أو جلس فيها للاستزادة من العلم أثناء رحلته. وتميّزت بكثافة المعلومات الأدبية والعلمية والفنية.

كما أن الرحلة الحجازية- الحجيّة، قد تميزت بوصف الظروف والجوانب النفسية التي يؤدي فيها الجزائريون فريضة الحجّ، تلك العاطفة الدينية الكبيرة لزيارة الأماكن المقدّسة، وقد أشار كل من المقري والمجاجي إلى كثير من المشاهد التي تعكس هذا الجانب.

ومن أهم النتائج التي تم التوصل إليها أن رحلتا المقّري والمجّاجي قد عكست صورة مهمة للتواصل العلمي بين الحجاز والجزائر خلال القرن ١١هـ/ ١٧م، إذ نجد معظم مؤلفات المقري الدينية قد ألفها في الحجاز، ففي السُّنة النبويّة نجد مؤلفه: "فتح المتعال في مدح النّعال" وهو في بحث في النّعال النّبويّة، كان قد ألّفه في المدينة المنوّرة، وكتاب: "أزهار الكمامة في أخبار العمامة". كما أن رحلة المجّاجي تقع ضمن إطار التّفاعل والتلاقح الثقافي والعلمي بين الحجاز والجزائر، إذ نجده قد نسخ بنفسه بعض القصائد بالمسجد النّبوي كقصيدة "الكواكب الدريّة في مدح خير البريّة" المعروفة بالبردة للبوصيري، وكتب في السنة النّبوية ككتاب "الشّمائل المحمّدية" للترمذي، ونسخ أيضًا المصحف الكريم وتركه حبوسًا بالمسجد النّبوي.

المصادر والمراجع:

أفرخاس، محمد، وصلاح محمد صديق، نادية. (د.ت). *رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل*. الإمارات العربية المتحدة. دبي.

بوشمة، خالد. (٢٠١٥م). *عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي المجاجي الجزائري وكتابه التعريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتصيير والتوليج*. منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف. الجزائر.

الحفناوي، أبو القاسم. (١٩٨٤م). *تعريف الخلف برجال السلف*. مؤسسة الرسالة. بيروت.

أبو حمو، موسى الثاني. (١٩٨٢م). *واسطة السلوك في سياسة الملوك*. دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع. تونس.

ابن خلدون عبد الرحمن. (٢٠٠٧م). *المقدمة*. طبعة جديدة مصححة ومنقحة. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

عبد الرحمن الشوابكة، نوال. (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م). *أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري*. دار المأمون. الأردن.

سالم عطية، أمال. (٢٠١٥م). *عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجّاجي" رحلة المجّاجي في القرن١١هـ/١٧م"*. منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف. الجزائر.

سعد الله، أبو القاسم. (١٩٨٦م). *شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية*. ط١. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

سعد الله، أبو القاسم. (١٩٧٧). *الرحلات الحجازية الجزائرية*، بحث مقدم ضمن أعمال الندوة العالمية لتاريخ الجزيرة العربية. المملكة العربية السعودية. الرياض.

سعد الله، أبو القاسم. (١٩٨٥م).*تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(١٦-٢٠م)*. (ج٢). ط٢. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.

سيد الشيخ، سعاد. (٢٠١٤م). رحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي نموذج للرحلة الحجية النظمية خلال القرن ١١هـ/ ١٧م. *مجلة الواحات للبحوث والدراسات*، (ع ٢٠). جامعة غرداية. الجزائر.

الصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيف. (١٩٩٦م). *الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها*. مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة.

عبد الكريم، محمد(د.ت). *المقري وكتابه نفح الطيب*. منشورات دار الحكمة. بيروت. لبنان.

عمّار. (١٩٨٨م).*أشعار جزائرية*. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.

الفكون، عبد الكريم. (١٩٨٧م). *منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية*. ط١. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

القلقشندي . (١٩٦٣م). *صبح الأعشى في صناعة الانشاء*. المؤسسة المصرية العامة. القاهرة.

المجاجي، عبد الرحمن.(٢٠٠٧-٢٠٠٨م). *رحلة المجاجي*. جامعة وهران. الجزائر.

المحبي، أحمد. *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*. دار الكتاب الاسلامي. د.ت. القاهرة.

المقري، أحمد. (٢٠٠٤م). *رحلة المقري إلى المغرب والمشرق*. مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر.

الناصري، السلاوي. (١٩٥٤م). *الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى*. دار الكتب المغربية. الدار البيضاء.

نواب، عواطف محمد يوسف. (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م). *الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين ٧ و٨ الهجريين*. مكتبة الملك فهد. الرياض.

هواري، جميلة. (٢٠١٠-٢٠١١م). *استراتيجية الخطاب في رحلة المقري إلى المغرب والمشرق*. الجزائر، ماجستير في الأدب الرحلي المغاربي، جامعة وهران. الجزائر.